

كتابه الجديد يشدد على خطورة فرضية صامويك هانتنغتون

جورج قرم: نحن في مرحلة التدهير الذاتي!

بحزم ودقة معهودين، ينتقد جورج قرم (1940) الفجر الثقافي والفكري في العالم العربي. فخر أدى إلى انتصار الفكر الوهابي وفرض عقيدته الأحادية على عقول الجيل الجديد. «يولد الخلاص من رحم المخاطر»، مقولة تجسد وجهة النظر التي تبعث على التفاؤل في مكان ما للمؤرخ والمفكر اللبناني، وتدعونا للتأمل في الظروف الملائمة لهذه جديده في عالمنا العربي. في مقابلة مع «الأخبار»، يتحدث ناويزر المالية السابقة عن كتابه الأخير «المسألة الشرقية الجديدة» (لديكوفيرت) الذي ينطلق فيه من مؤلفاته السابقة ليؤكد على خطورة الفرضية الجوهريانية لصامويك هانتنغتون حول صدام الحضارات الذي بات اليوم عقيدة دغمائية للجيوستراتيجية العالمية



الديمقراطية هي المسؤولة عن جرائم لا تحصى ضد الإنسانية

لينا كتوش

■ في مقدمة كتابكم، تطرحون مسألتين في آن معاً هما «الفضى الفكرية» التي تشوش نظرة مجتمعاتنا للواقع، ومسألة الإصلاح المعرفي. هلا عرضتم لنا المتطلبات الضرورية لتفكيك الخطاب التبسيطي والفرضيات الجوهريانية التي غالباً ما تشكل منطلقاً لتحليل المجتمعات العربية؟

بدأت هذا العمل قبل سنوات عدة من خلال سلسلة من الكتب، أبرزها «نحو مقاربة دنوية للنزاعات في الشرق الأوسط: تحليل ظاهرة توظيف الدين في السياسة الدولية»، (صدر باللغة الفرنسية عن «لا ديكوفرت»/ 2012، وترجم إلى العربية عن «دار الفارابي» 2014)، في هذا الكتاب، قمت بتفكيك جميع الحجج ذات الطابع الحضاري والديني التي توظف لتحليل النزاعات وتحجب نظر الرأي العام عن واقع الإمبريالية التي يقودها حلف شمال الأطلسي. هذا الحلف الذي كان أبعد ما يكون عن الأندثار بعد انتهاء الحرب الباردة، عاد بزخم غير مألوف ليكون سبباً في اندلاع حرب يوغوسلافيا وأحداث القرم والتدخلات العسكرية الضخمة في العالم العربي. لقد تحققت نبوءة هانتنغتون القائلة بصراع الحضارات تلقائياً، لا سيما حين جاء الرد على الإرهاب، المزعوم بأنه إسلامي، على شكل تدخل عسكري وليس من خلال الوسائل الكلاسيكية القائمة على تادية دور الشرطي.

نحن اليوم نواجه فرضى فكرية عارمة، أحاول في ظلها تصويب الأسور في الميدان المعرفي. مسعى ليس بسيط نظراً إلى أن عدداً كبيراً من الأكاديميين كانوا عرباً أم أوروبيين أم أميركيين أم مختصين في الشرق الأوسط، فضلاً عن الثقافة الإعلامية المهمة، يستخدمون مفاهيم خاطئة تحجب الواقع المتمثل في استعادة الإمبريالية زخماً في مطلع القرن العشرين.

■ لقد قمت أيضاً بتفكيك الخطاب الداعم لعدم التفريق بين الإسلام والإرهاب، مع تحليل لأثر النصوص الدينية والصور النمطية. ما هي الأسباب التي أسهمت في نشر الصور النمطية وحالت دون فهم الأسباب الجوهريّة للظاهرة؟

- يمثل النص الديني هذا، الذي يندرج إلى حد كبير في إطار ما أسماه أحد المفكرين الروس بـ «اغتصاب الجماهير» في القرن العشرين، تردداً مستمراً للأذنية نفسها عملاً بالمقولة الشهيرة «كذبوا ثم كذبوا حتى تصبح الكذبة حقيقة»، ما يسميه علم الاجتماع الأميركي بـ «السرود القصصي»، يبقى محفوظاً في الذاكرة، ويبدو لي أن كروبوكتين (كاتب ثوري روسي) بنفسه شبه «اغتصاب المستهلك» بـ «اغتصاب الجماهير» عبر الترهات. اعتقد أنه ما من حرب أو أعمال عنف تنشأ بسبب وجود جماعة من الأخيار من جهة، وجماعة من الأشرار من جهة أخرى كما تصفه لنا النصوص الدينية، بل إن النزاعات تنشأ على الدوام نتيجة الترداد الهوسي لبعض العبارات التي تحمل في طياتها إيهاءات عاطفية قوية وتسوق بالتالي أعمال العنف. برأيي، فإن الكلمات هي القائلة. أما السلاح، فليس سوى الأداة التي تُنفذ ما أضرت به المصطلحات في عمليات اغتصاب الوعي الجماعي هذه.

■ ما نتائج حصر البحث في الإشكاليات الضيقة لصعود الإسلام الراديكالي؟ ألا يسهم الترويج لعدد كبير من المؤلفات حول موضوع الإسلام الراديكالي في نشر الفوضى الفكرية التي تدرسونها؟

- بالرغم من سهولة اتهامنا بالفكرية في نقل هذه الحقيقة، الثابت أن محاربة التمدد الشيوعي بين الشباب والشابات في البلدان الإسلامية أوجبت إعادة أسلمة البلدان الإسلامية. وقد تطلب الأمر سلب هؤلاء كياناتهم الوطني وثقافتهم العربية الغنية بالتنوع التي لا تقوم بأي شكل من الأشكال على الجانب الديني فقط كما تحاول جميع الدراسات الأكاديمية تصويره اليوم. الثقافة العربية قبل ظهور الإسلام وبعده ثقافة شعر وموسيقى في المقام الأول، ولقد كانت ثقافة

الحكومات وتقويض المجتمعات وما زالت تكبد الشعوب تداعيات مأساوية. كيف تفسرون غياب العقوبات في الدول التي يقال إنها ديمقراطية بحق الحكام الذين قادوا هذه الحروب الروعة؟

- لطالما اقترنت الديمقراطية بالإمبريالية بدءاً بأثينا. لسوء الحظ، فإن الدول الديمقراطية هي المسؤولة عن جرائم لا تحصى ضد الإنسانية كما يظهر لنا تاريخ الاستعمار لا سيما المستعمرات الاستيطانية التي أقيمت في الجزائر وجنوب أفريقيا واليوم فلسطين. الحقيقة أن الرأي العام للمجتمعات يفكر صراع الحضارات تحت تأثير القطيع، لا يناقش سياسات حكومته ولا يطلب منها فاتورة تكاليف حروب الغزو. عندما نتذكر أن جورج بوش وطوني بليز الذين ارتكبا جريمة ضد الإنسانية على أساس أكاذيب أقلنا من العقاب، نتذكر أيضاً ووترغيت (فضيحة التنصت غير الشرعي على الحزب الديمقراطي) التي أطاحت بالرئيس الأميركي السابق نيكسون، وأضيف إلى ذلك رئيس الوزراء البريطاني السابق انطوني إيدن الذي استقال إثر أحداث السويس والرئيس الأميركي السابق كلينتون الذي أقصى بعد فضيحة جنسية في البيت الأبيض. الديمقراطية مشلولة بالكامل فيما تسعى فرضية صراع الحضارات إلى إدامة هذا المازق: إعلان حالة الطوارئ وتبريرها بأننا في حالة نزاع تجنّباً للخوض في ما تفعله الحكومات.

■ كيف تفسرون مواصلة العدو الإسرائيلي استراتيجياً بناء المستعمرات والتدمير المنهج لأسباب وجود الشعب الفلسطيني؟ وما رأيكم بالدعم غير المشروط الذي تقدمه القوى الغربية لدولة استعمارية متجاهلة أبسط قواعد القانون الدولي؟

- تناولت هذا الموضوع مراراً في كتاباتي، لا سيما «المسألة الدينية في القرن الواحد والعشرين». إنهما المذهب التوحدي القديم بخاصة في بصغته البروتستانتية والارت الهيغلي للفكر الفلسفي في أوروبا والولايات المتحدة اللذان أنتجا فكرة إنشاء دولة إسرائيل على أنها المسار التاريخي العادل من دون أي مراعاة لعذابات الشعب الفلسطيني. بالعودة إلى الفصل الذي يتناول استعمار الجزائر، نرى أن هذا الاستعمار جاء باسم الحضارة والتقدم. أما استعمار جنوب أفريقيا فباسم العهد القديم، في حين أن ثمة مشكلة في وظيفة النموذج التوحدي الذي ما زال يحيا في عقول المسلمين واليهود والمسيحيين. لذا يجب فك الاستعمار عن عقولنا في هذه النقطة. إسرائيل، كما السعودية وباكستان، ليست دولاً قائمة بالاعتماد على ذاتها، فحسب، بل برعاية الولايات المتحدة وأوروبا. ما إن تسحب الأخيرتان دعمهما غير المشروط، حتى تختفي هذه الدول بسرعة كبيرة.

■ في ظل الفوضى العارمة التي يشهدها العالم العربي اليوم، ما هو البديل برأيكم؟ ما المستقبل الذي ينتظر الشرق الأوسط؟

- لا أرى بدائل حتى اللحظة، فنحن الآن في مرحلة التدمير الذاتي كما وصفتها. من العرب دينامية الفشل، وأصبحوا الآن في دينامية التدمير الذاتي. تشعل السعودية حروباً شعواء بمباركة الولايات المتحدة. وفي الوقت نفسه، نمر في فصل خيالي تلعب فيه قطر دور الضحية الثابتة مع أنها كانت تنتهج سياسة شمال حلف الأطلسي بحذافيرها والقائمة على زعزعة سوريا وليبيا. وإن دل ذلك على شيء، فهو يدل على مدى تفكك الدول العربية حتى بين مجموعة دول شبه الجزيرة العربية المتجانسة للغة. إن تجنب الدولة السورية الانهيار لا يعني انتهاء الحرب، فنحن ما زلنا في حقبة تسعى فيها القوى العظمى إلى ترسيخ مناطق نفوذها. لن يعترف الأميركيون بالهزيمة بهذه السهولة طالما أنه ما زالت لديهم موارد مهمة في متناول أيديهم.

للدراية في مكة أو إسلام آباد أو الأزهر؟ كلا، بل ترسلها إلى الولايات المتحدة أو أوروبا. من جهة أخرى، لا يشغل تفكير الفقراء من المسلمين إلا فكرة واحدة ألا وهي عبور الأبيض المتوسط على حساب أرواحهم لبلوغ الجنة الغربية. ليس الارتباط ببعض الحركات الإرهابية الخاضعة إلى حد كبير لإمرة أجهزة الاستخبارات العربية والتركة والغربية السبب وراء صراع الحضارات، وإنما الغاية إظهار الأمر على أنه كذلك. يشكل نشر الجيوش بدل مكافحة الإرهاب بوسائل الشرطة التقليدية ووضع شعوب العالم تحت المراقبة بالاعتماد على البيانات الضخمة، الوصفة المثلى للفشل.

■ أدت التدخلات التي قادتها الدول الغربية وحلف شمال الأطلسي في المنطقة باسم حقوق الإنسان إلى زعزعة



الثقافة العربية قبل ظهور الإسلام وبعده ثقافة شعر وموسيقى في المقام الأول

فرضية أن العقل العربي هو عقل ديني في جوهره لا يعدو كونه تشويهاً